الاضطهاد الديني المسيحي في بلدان المغرب القديم (من نهاية القرن الثاني ميلادي إلى بداية القرن الرابع ميلادي)

أ . حميدة نشنش

المدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة

الكلمات المفتاحية: الاضطهاد الديني، المسيحية في المغرب القديم، الكنيسة الإفريقية، الوضع الديني في إفريقيا الرومانية.

Résumé :

Cet article parle de l'histoire des persécutions du christianisme dans le Maghreb antique, on peut les diviser en trois périodes:1) la fin du 2ème siècle au début du 3ème siècle : c'est dans la première année du règne de Commodus en 180 ap.j.c que s'ouvre pour nous l'ère des persécutions d'Afrique, avec la condamnation de douze chrétiens de la ville Scillium en proconsulaire. Et pendant le règne de Séptèmius Sévèrus , l'Afrique fut aussi cruellement traitée par une autre persécution à partir de l'année 197 ou 198 ap.j.c et également en 202 ap.j.c . 2) la moitié du 3ème siècle : après cette persécution, alors s'ouvre une longue période de paix qui durera jusqu'au règne de l'empereur Dèce. Dés son l'avènement, il reprit la persécution en 249 ap.j.c, la persécution fut courte mais violente. Après sa mort l'empereur Valérien inaugura la persécution avec deux édits : le premier en 257 ap.j.c et le deuxième en 258 ap.j.c, cet édit affecta la plupart des provinces africaines. On constate beaucoup de victimes, parmi les plus illustres Cyprianus évêque de Carthage. 3)le début du 4ème siècle : en 259 ap.j.c la persécution cessa brusquement, et l'empereur Gallien promulgua un édit de tolérance en 260 ap.j.c dura plus de quarante ans, jusqu'au règne de Dioclétianus en 284 ap.j.c, qui lança quatre édits entre (303-304) ap.j.c, mais les Africains distinguaient seulement deux: la période des perquisitions et la période des sacrifices. Sur l'application des édits dans les différentes provinces africaines, on constate beaucoup de défections et beaucoup de martyres. la persécution avait complètement cessé dés le début de 305 ap.j.c. pendant les années suivantes la période des persécutions était bien close, et une nouvelle période commence dans l'histoire de l'Afrique chrétienne.

إن ما يميز تاريخ المسيحية في بلدان المغرب القديم منذ بداية ظهورها على مسرح الأحداث في حوالي سنة 180م إلى غاية بداية القرن الرابع ميلادي وبالضبط سنة 313م ؛هو الاضطهادات، التي تخللتها إلا فترات قصيرة من السلام الديني[1]، ولهذا سنتناول في هذا المقال مراحل هذه الاضطهادات التي مارستها السلطة الرومانية ضد مسيحيو هذه المنطقة، و التي هدفت من وراء ذلك القضاء على هذا

الدين الجديد. ولكن قبل أن أتناول هذا الموضوع سأحاول كبداية أن أستعرض لمختلف مراسيم الأباطرة الاضطهادية التي سبقت ومهدت لاضطهاد الديانة المسيحية في بلدان المغرب القديم .

لقد أظهرت السلطة الرومانية تسامحا إزاء الديانات المختلفة، وهذا ما لم يمس معتنقوها بالمصلحة العليا للإمبراطورية[2]،ورغم تمكن المسيحيون الأوائل من التبشير بعقيدتهم، إلا أنهم منعوا فيما بعد من ذلك باسم القانون القديم على الديانات القديمة[3] ، والذي كان ينص حسب ما يخبرنا به ترتوليانوس فيما يلي:" إنه يوجود في الأصل قانونا قديما يمنع عن عبادة أي إله ما لم يتم الموافقة عليه من طرف مجلس الشيوخ"[4]. ورغم أنه أهمل تطبيقه على الديانات الأجنبية، بل وعلى الديانة اليهودية أيضا فيما بعد، إلا أنه أعيد العمل به كذلك ضد المسيحيين[5] بسبب مطالبهم ومواقفهم.

وتعود أول مطاردة جماعية للمسيحيين في روما في حوالي 64م، من طرف الإمبراطور نيرون*، الذي اتهمهم بتدبير عملية إضرام النار في روما ، ولهذا قام بمعاقبة العديد منهم، ومن هنا ظهر ما يسمى بالمصطلح المسيحي ب"الاضطهاد"، ولكن لا أحد يستطيع أن يثبت إن كان منظما[6]، لأنه لم يكن مقيدا بأي نص تشريعي ثابت[7].

ولقد اختلف المؤرخون المعاصرون حول قضية وجود قانون خاص لنيرون؛ وهذا بالاستناد إلى ما سماه ترتوليانوس ب"تشريعية نيرون ، institutum neronianum" ، فنجد بعض المؤرخين يثبتون وجود مرسوم تشريعي لنيرون يحرم المسيحية ، وهذا انطلاقا من نص لسويتون، و نصيين لترتوليانوس في كتابه "الدفاع عن المسيحية" . أما البعض الآخر فيرى بعدم وجودها،

مبررين أن ترجمة كلمة"institutum " قانونيا فيها إفراط[8]، أي أنها لا تمثل قانونا بل تمثل ببساطة استعمالا سابقا(أو عادة) مبتكرة من طرف نيرون[9] . وبما أن نص قانون نيرون غير معروف، إلا أنه يعتقد تضمنه لهذه الفكرة الأساسية التالية: "لا يمكن أن يسمح بوجود مسيحي non licet esse christianis "[10]، فيكفي أن يصرح بأنه مسيحي حتى يدان بعقوبة الموت، بدون أن يعرفوا إن ارتكب بعض الجرائم في القانون العام. المهم أن الاضطهادات قد امتدت بسبب هذا القانون في كل الإمبراطورية [11] ،بواسطة القضاء ولكن بدون أن يكتب بصراحة في التشريعات[12] .

و في بداية القرن الثاني ميلادي، توضحت الأمور تحت حكم تراجانوس**، حيث طرح هنا لأول مرة بطريقة واضحة ودقيقة القضية المسيحية في رسالته إلى بلين الشاب[13]، حاكم بيثني (Bithynie)[14] ، التي أظهرت لنا بعدم وجود في ذلك الوقت أي قانون قمعي في حق المسيحيين[15]، حيث طلب بلين الشاب من الإمبراطور تعليمات بخصوص المسيحيين، فقام هذا الأخير بتوجيه له أمر يقضي بعدم مطاردة المسيحيين، وعدم قبول الوشايات المجهولة، و أما المسيحيين الذين يعلنون تخليهم عن ديانتهم فيعفى عنهم حتى ولو ثبت أنهم مسيحيون، و أما الذين يعترفون بتمسكهم بديانتهم فتتم معاقبتهم. وبهذا يعتبر تراجانوس أول من صاغ موقف رسمي باتجاه المسيحية حيث اعتبرها ديانة محرمة(religio illicita)[16] ، فكان "اسم مسيحي"(nomen christianum) مؤشرا كافيا لتطبيق عقوبات صارمة حتى الموت إذا كانت من طرف وشاية قانونية حتى ولو كان صاحبها بريء[17]. ولكن رغم هذا لم يعتبر تراجانوس المسيحيين لا

كسياسيين خطرين، و لا كمذنبين بأية جريمة كانت[18] ،لأنه كان في الواقع مجبرا بسبب ضغط الجماهير الساخطة[19]،التي كانت الحافز الحقيقي لاضطهاد المسيحيين أكثر من الأباطرة أنفسهم[20] .

وأما الإمبراطور هادريانوس*** (124 م) فقد ذكر بمبادئ تراجانوس في رسالة له إلى البروقنصل مينوسيوس فوندانوس (Minucius Fondanus) المتمثلة في عدم الإدانة بدون قضية قانونية وفرض عقوبات على الواشين، و لكن الظاهر أنه حدد أحكام القضاء و لم يصرح ضد المسيحيين إلا الذين اقترفوا بعض الأعمال المنافية للقوانين ،رغم أن "الاسم المسيحي" كان هو الوحيد الذي يعاقب عليه. و لعل عدم اعتراف المسيحيين بآلهة الإمبراطورية و حتى بألوهية الإمبراطور هو الذي يفسر لنا المقصود من كلمة " الخروج عن القانون "[21] .

وفيما يخص الإمبراطور ماركوس أوريليوس****(في 177 م)، فإنه قام بالإعلان عن مرسومين أكمل وحدد بهما التشريع الإمبراطوري الذي كان ساري المفعول منذ تراجانوس ، حيث نص المرسوم الأول، على معاقبة كل من يقوم بإثارة الجماهير بواسطة مقدمة لديانات جديدة، وأما المرسوم الثاني فكان يحكم بالموت على كل من يعترف بأنه مسيحي[22].

وبهذا استطاعت حكمة الأباطرة الأنطونيين على العموم أن تعصم الكنيسة من شر هتافات الجماهير الصاخبة، والاتهامات الشاذة، حيث نصت مراسيم هادريانوس وأنطونينوس بيوس بعدم جواز التسليم بصوت الجماهير كدليل قانوني لإدانة المسيحيين[23]، بسبب مبالغتهم في إيذائهم والوشي بهم[24]، وفي حالة ما إذا أثبتت التهمة عليهم كان

بإمكانهم أن يغيروا الإدانة بارتدادهم سواء بالرضى أو بالعنف[25]، وحتى أن اضطهادات سنة177 م لم يكن للإمبراطور ولا رسوله أي طرف فيها، بل كانت الجماهير هي من أعدت كل شيء، وما كان على الرسول إلا المصادقة وتكريس غضب الجماهير[26]. ورغم هذا علينا أن نسجل في الواقع وجود العديد من الشهداء خلال عهدة الأباطرة الأنطونيين (تراجانوس و هادريانوس و ماركوس أوريليوس) رغم ما اتسموا به من إنسانية[27].

وبدون إلغاء تشريعات نيرون، قام أباطرة القرن الثالث ميلادي بإكمالها بواسطة مراسيم خاصة، التي وجهت إلى أشخاص خاصين وإقامة مقاضاة خاصة ، وسجلت لنا هذه الإجراءات مرحلة جديدة في تاريخ الاضطهادات، حيث عملت على إبادة المسيحيين، والإخلال بنظام الطائفة، وتوقيف انتشارها، وأيضا تعريض مستقبل الكنيسة للخطر[28]. ولكن قبل أن نتطرق إلى هذه المراسيم علينا قبل كل شيئ أن نعرف أسباب الاضطهادات في المغرب القديم.

ب – أسباب الاضطهاد في المغرب القديم:

لم يحترس الوثنيون ولمدة طويلة من الديانة المسيحية، وهذا راجع إما لجهلهم لمدى توسعها، أو لأنهم لم يقدروا مدى قوتها، ولكنهم أدركوا فيما بعد مدى تطورها المستمر، وهذا ما أثار مخاوفهم، فأعلنوا بذلك إبادة الطائفة العدوة[29]، وكانوا في هذا محرضين ربما من طرف اليهود[30] بسبب غيرتهم من نجاحات الدين الجديد، أو من طرف أيضا كهنة معبد كايليستيس (caelestis) الذين كانت لديهم بعض الخلفيات السياسية[31]، ومهما تكن أسباب كل طرف فإنهم ساهموا إلى حد ما في إثارة حقد الوثنيين ضد المسيحيين.

ولقد كانت الديانة المسيحية تختلف عن الديانات الوثنية التي تعايشت مع بعضها البعض رغم أصولها المتباينة[32]، وهذا بسبب مطالبتها بالعيش منفصلة، وقطع علاقاتها مع العبادة التقليدية، وتخريب شيئا فشيئا كل شيء يتعلق بها. فكان أول قانون فرضته على أتباعها الجدد هو التخلي عن كل الأوثان، أي التبرؤ والتنكر لماضيها، وحرق كل ما كانوا يعبدونه ويملكونه من أوثان، فأصبح كل من بعل وتانيت رغم ما احتلاهما من مكانة في إفريقيا العدوين اللدودين لإله المسيحيين الذي أراد لهم الموت[33]. إضافة إلى رغبتهم في عدم التستر، وهذا من خلال ممارستهم لشعائرهم الدينية[34]؛ سواء في داخل المقابر أو في منازلهم المشتركة[35]، أومن خلال رفضهم تزيين وجهات منازلهم في أيام الاحتفال[36]، وعدم مشاهدتهم لألعاب السرك و المدرج أو التمثيليات الدرامية أو الألعاب البيتيورية[37] ، وبهذا كانوا حزينين ومستاءين للفرح الجماعي[38]. ولقد أدى هذا برغبتهم أو لا إلى تكوين تجمع مستقل في كل عائلة، وفي داخل المدينة، بواسطة نوع لباسهم الذي يشبه بساطة حياتهم وعاداتهم، وهذا ما أثار انزعاج الجماهير منهم لأنهم لا يحبون هذا النوع من الحماية الصامتة، بل وأصبحت تتقبل بلا تبصر كل ما يحكى عن أسرار وخفايا المسيح،من مؤامرات سرية وتدنيس للمقدسات وارتكاب المحرمات والتضحية بالأطفال وأكل لحوم البشر[39]. و لقد أجبرتهم ديانتهم كذلك على بث بعض القلق لدى الحكام الأكثر تسامحا بسبب رفضهم التضحية على مذابح الأباطرة مثل كل المواطنين، وبهذا كان المسيحيون في تصور الجماهير بمثابة أعداء للشعب لأنهم خانوا الآلهة والسلطة[40].

وبهذا كانت الجماهير ترى في الطبقة المنتصرة فئة اجتماعية جديدة يهدد نموها كيانها بما تنشره من أفكار غريبة بدت لهم هدامة، ولقد لخص لنا ترتوليانوس نظرة الطبقة الوثنية لطبقة المسيحيين، بأنها كانت تنم عن توجس وارتياب شديدين إلى حد أن أصبحوا يرونهم وكأنهم" جنس ثالث مخيف ، usque que tertium genus"[41] واعتبروهم المسؤولين عن الكوارث التي أضرت بالإمبراطورية[42]: من غزوات البرابرة الأولى وطاعون[43] ومجاعة[44]. وفي هذا الشأن يقول ترتوليانوس:"إذا ما غمر التيبر روما ، وإذا لم يغمر النيل الحقول، وإذا بقيت السماء ساكنة، وإذا اهتزت الأرض، وإذا حدثت مجاعة أو طاعون ، نسمع في الحال صراخ: المسيحيون للأسود!"[45]. ولهذا اعتبروهم كأعداء لهم، و قاموا بملاحقة بقسوة كل من يملك اسم مسيحي، حيث كانوا يشتمونهم، ويطاردونهم بسخرية مهينة[46] ويهاجمونهم بالحجارة أو بواسطة المشاعل المحرقة[47]، بل ويطالبون بإعدام المسيحيين، والزج بهم إلى الوحوش لكي يتسلوا بمناظرهم الدامية في المدرجات قائلين: "المسيحيون للأسود،christinos ad leonem "[48]، كما استهزؤوا بطقوسهم الدينية وتمت مهاجمتهم في أماكن عباداتهم[49]، وحتى الموتى أنفسهم تعرضوا للاضطهادات ، فلم تتوقف الجماهير عن الاندفاع على المقابر والصراخ"ليس هناك مقابر"[50] ، بل قاموا بحفرها من أجل تقطيع ورمي جثث المسيحيين على الطرقات[51]. وفي كتاب ترتوليانوس "الدفاع عن المسيحية" والذي عاصر تقريبا هذه الأحداث ذكر لنا بسخط هذه الجرائم:" كم من مرة ، قامت جماهير عدائية بدون تسريح منكم برمينا بالحجارة وبحرقنا ، وبنفس الهيجان في احتفالات باخوس، لم

يراعوا حتى أموات المسيحيين، إذ قاموا بإخراج جثثهم من المقابر، حيث كانت جثثا منحلة وضائعة المعالم، والتي قاموا بتقطيع و تشتيت أعضائها"[52].

وبهذا يتبين لنا وهذا كما أخبرنا ترتوليانوس، أن اضطهاد المتنصرين كان يتم من طرف الوثنيين قبل أن يكون من طرف السلطة[53]، التي كانت إلى ذلك الحين متسامحة نسبيا إزاء المعتقدات المختلفة و هذا ما لم يمس معتنقوها بالمصلحة العليا للإمبراطورية[54]،بل وعملت في العديد من المرات على إرغام السلطة للقيام بالاضطهادات، وفي حالة تأخرها[55] فإنها تبادر هي بحرقهم بدون انتظار المحكمة[56]. وبهذا تعدى تعصب الجماهير الكثير من القوانين المتسامحة وتصرفوا على هواهم، وبسبب خشية الحكام منهم[57]، بسبب دورهم الفعال في الإمبراطورية الرومانية[58]، قاموا بإدانة تقريبا رغما عنهم المتهمين المسيحيين والذين لم يسمح لهم بالدفاع حتى عن أنفسهم[59]، ولهذا قام البروقنصل في سنة 197 م برمي عدد كبير من المسيحيين في السجن أين توفي العديد منهم بسبب التعذيب[60].

3- مراحل الاضطهادات التي عرفها المسيحيون الأفارقة في السنوات الممتدة من (180- 313 م):

مر الاضطهاد في بلدان المغرب القديم بثلاث مراحل هي :

أ- الاضطهادات التي عرفتها المنطقة نهاية القرنين الثاني و الثالث ميلاديين :

رغم تمكن الكنيسة الإفريقية من العيش في سلام ديني طويل نسبيا مقارنة مع الكنائس الأخرى في العالم المسيحي، إلا أنها تعرضت منذ سنة180م إلى الاضطهادات[61]، التي كانت من طرف الوثنيين قبل

أن تكون من طرف السلطة، و هذا عكس ما شاهدته المناطق الأخرى[62]، ولعل السبب في ذلك يعود إلى سياسة الحكام الرومان في إفريقيا ، والذين كانوا إلى غاية ذلك الوقت متسامحين أو تجاهلوا عن قصد المسيحيين. ولكنها عرفت في المقابل حكاما آخرين كانوا أكثر حزما وتشددا أو ببساطة أكثر خوفا في مواجهة متطلبات الجماهير؛ عملوا على تطبيق القوانين الاضطهادية في إفريقيا سواء في البروقنصلية أو في نوميديا خلال سنة 180م[63].

ويعتبر البروقنصل فيجيليوس ساتورنينوس(P.Vegellius Saturninus) أول من افتتح عصر الاضطهادات في إفريقيا في السنة الأولى من حكم الإمبراطور كومودوس*****(176–192 م) [64]، الذي يظهر أنه لم يذع مرسوما عاما للاضطهادات بل نفذ ما أمر به ماركوس أوريليوس[65] . ولقد قال ترتوليانوس في شأن هذا البروقنصل:" فيجيليوس ساتورنينوس الأول الذي حمل السيف ضدنا"[66]، حيث لم يتردد هذا الأخير بمعاقبة المسيحيين الذين امتثلوا أمام محكمته، منهم اثنتي عشر مسيحيا(سبعة رجال وثمانية نساء) من قرية سيليوم(Scillium)، الذين حكم عليهم بالإعدام عندما رفضوا التخلي عن دينهم في17 جويلية180م . ولقد شهدت نوميديا هي الأخرى نفس هاته الإجراءات، حيث عرفت عدة شهداء منهم نمفامو(Namphamo)، و ميجي (Miggi) من مدينة مداوروش، و هذا ربما في 5 ديسمبر من نفس السنة، بالرغم من وجود بعض الآراء التي تبين أنهم كانوا أول شهداء إفريقيا قبل السليتيين، علما أن هؤلاء الشهداء كانوا من عامة الناس[67].

وعقب أحداث سنة 180م تسامحا نسبيا و هذا حسب ما يخبرنا به ترتوليانوس، وذلك نتيجة المحاولات الجادة للعديد من حكام المقاطعات

الإفريقية لتهدئة الأنفس ووقف المطاردات، حيث كانوا في بعض الأحيان يختلقون بعض الحيل لتغيير القانون خدمة للمسيحيين[68].

ولكن الوضع لم يبق على حاله إذ عرفت المنطقة في ظل حكم سبتيميوس سفيروس****** (193-211 م) اضطهادات عنيفة، بسبب وجود بروقناصلة مختلفين عن سابقيهم إبتداءا من سنة197م أو سنة 198م، و الذين قاموا بتوقيف المؤمنين بسبب ديانتهم و وضعوهم في السجون[69]، ويبدو أنهم كانوا مجبرين على هذه الإجراءات بسبب ازدياد الهياج الشعبي في الوقت الذي عرفت فيه السلطة الضعف جراء الحروب المدنية ما بين سبتميوس سفيروس ومنافسيه نيجر وألبينوس[70].

ولقد بين لنا ترتوليانوس الظروف التي كان يمر فيها المسيحيون أثناء الاضطهادات، حيث ذكر أن قرطاجة كانت تشهد في كل يوم مقاضاة العديد من المسيحيين و الذين تتم إدانتهم،بل و هناك من كان يعذب قبل أن يحاكم، وأما بعضهم فيتم نفيه إلى الجزر، أو يتم إعدامه، أويتم تسليمه إلى الحيوانات المتوحشة أو أيضا يتم رجمه بالحجارة في الشوارع أو يتم حرق منزله[71]...الخ.

ولقد أدت أحداث الهياج الشعبي بالسلطة إلى اتخاذ إجراءات ضدهم، حيث وجد سبتميوس سفيروس نفسه في سنة 202م في موقف منحط أمام استحالة كل تسوية ما بين الكنيسة و السلطة[72]، و هذا بسبب مطالب الجماهير، ولهذا قام بإصدار مرسوما جديدا في سنة 202م ينص على حق البحث وموجها ضد المهتدين والداعين للهداية،مع العلم أن القانون القديم كان يدين فقط المسيحيين الذين يمتثلون أمام المحاكم ويعترفون بعقيدتهم[73]. وهكذا سجلت هذه

الإجراءات مرحلة جديدة في تاريخ الاضطهادات، حيث عملت على إبادة المسيحيين و الإخلال بنظام الطائفة وتوقيف انتشارها و تعريض أيضا مستقبل الكنيسة للخطر[74].

وكانت النتيجة المباشرة لهذا المرسوم، هو تطوير حرية المبادرة والمسؤولية الشخصية لحكام المقاطعات أو الحكام الآخرين، حيث لم يعد في امكانهم التحقق وباستعمال العنف عملية رفض التضحية مثل السابق، بل كان عليهم متابعة جريمة التبشير المسيحي وضبط الدليل،وهذا لا يتأتى لهم إلا إذا بحثوا قليلا أو شجعوا على الوشاية. ومن هنا كانت ميزة الاضطهادات متقطعة ومتفرقة خلال السنوات الأخيرة من حكم سفيروس، حيث كان مصير المسيحيين في كل مقاطعة يخضع تقريبا لموقف الحكام فقط******** ، وهذا بالفعل ما حدث في إفريقيا حيث اعترف لنا ترتوليانوس بحق الكثير من البروقنصلية الذين أقاموا السلام الديني نسبيا ومنهم: جوليوس أسبر(Julius Asper) وبودانس(Pudens)[75].

ولعل كان أول شهداء مرسوم سبتيميوس سفيروس جماعة من المسيحيين من تبوربة مينوس********* وهم بربوتيا(Perpetua) و فليسيت (Felicite) وساتوروس (Saturus) ورفقائهم، والذين تمت إدانتهم من طرف المفوض بالنيابة هيلاريانوس، وهذا برميهم إلى الحيوانات في مدرج قرطاجة في 7مارس 203م، إضافة إلى شهداء آخرين دفعوا حياتهم جراء هذا الاضطهاد في كل البروقنصلية ، وربما في المقاطعات الإفريقية الأخرى[76]. وبعد هدنة مؤقتة تحت حكم جوليوس أسبر وبدانس تجددت الاضطهادات بأكثر عنف في ظل حكم ترتولوس سكابولام (211–213 م) ، والتي امتدت

إلى غاية نوميديا وموريطانيا[77]، ومن شهداء هذه الفترة الشهيد مافيلوس أو مايلوس (Maiulus أو Mavilus) من سوسة في 11ماي 212م[78]، وفي هذه السنة كتب ترتوليانوس مبينا لنا المحن التي خضع لها المسيحيون قائلا: "نحن اليوم في صميم الصيف أي في نار الاضطهادات نفسها، إن المسيحيين يعانون، فهناك من يعاني بواسطة النار، وهناك بواسطة السيف، وآخرين بواسطة أضراس الحيوانات، وبعضهم نفي في السجون بعدما عانى من الجلد أو الكي بالنار والذي جعلهم يتوقون للاستشهاد"[79].

ويبدو أنه منذ الفترة التي بعث فيها ترتوليانوس برسالته إلى سكابولام (212–213 م) ، لم نعد نسجل أية اضطهادات في إفريقيا وهذا على الأقل لمدة 32سنة ، ما عدا اضطهاد ماكسيموس القصير والذي يبدو أنه لم يمس مقاطعات إفريقيا[80]، إلى غاية قدوم الإمبراطور داسيوس إلى السلطة في سنة 249م[81]، أين ستعرف إفريقيا اضطهادات جديدة.

ب–الاضطهادات التي عرفتها المنطقة في منتصف القرن الثالث ميلادي:

لقد قام الإمبراطور داسيوس********* بإصدار مرسوم اضطهادي في نهاية سنة249م[82]، ورغم أننا نجهل نص المرسوم إلا أنه يمكننا أن نعرف نصوصه من خلال التفاصيل التي أتتنا حول تنفيذه، فهو كان أول مرسوم تحريم شامل الذي ألغى قسم المبادرة الذي كان متروكا في المطاردات السابقة للحكام[83]، حيث أوكلت مهمة تنفيذه هذه المرة إلى لجنة مكونة من الحكام ويساعدونهم خمسة من الوجهاء[84] . ولقد أمر هذا المرسوم المسيحيين بالتخلي عن ديانتهم وأن

يشاركوا في الاحتفالات الرسمية، ومن يرفض هذا يتم إيقافه ويحكم عليه بالموت أو النفي مع مصادرة أمواله[85].

لقد أحدث هذا الاضطهاد المفاجئ إضطرابا وقلقا فظيعا في الكنيسة الإفريقية، فمنذ سنوات طويلة تخلى المؤمنون بل ونسوا السلوك في أيام الاضطهاد[86]، وبهذا لم يكونوا مستعدين للتضحية، فتخاذلوا بالجملة وارتدوا عن دينهم[87]، وفي هذا الشأن قال الأسقف كيبريانوس:"لقد فسدت التعاليم الإلهية خلال هذا السلام الطويل، ولهذا كان العقاب الإلهي ضروري لايقاض الايمان الساكن"[88]، وبفضل مراسلات كيبريانوس أمكننا أن نتعرف على الأحداث التي عرفتها قرطاجة جراء هذا الاضطهاد أكثر من المناطق الأخرى، حيث يخبرنا أن مراسيم الإحتفال كانت تجرى في الكابتول والذي كان يشعل فيه كل صباح نار الأضاحي، وهذا إلى غاية انتهاء المهلة المحددة لهذا المرسوم[89]. ولقد استعجل الكثير من المسيحيين في الارتداد ،وهذا تجنبا للعقوبة أو حفاظا على الأموال أو على مكانتهم الاجتماعية[90]، واتخذت عملية انضمامهم إلى الديانة الرسمية عدة صور: فالأثرياء أو المتحمسون أحضروا حيوانا: ماعزا أو شاة(ovem) أو بقرة(bovem) ونتيجة لهذا تم تسميتهم من طرف الكنيسة ب:"sacrificati"، و أما الفقراء فقد اكتفوا بإراقة الخمر أو القيام بإشعال بعض حبات البخور(thus) أمام تمثال الإمبراطور كدلالة على اعترافهم بألوهيته وتم تسميتهم نتيجة لذلك ب" thurificati "، وكل من يقوم بالتضحية يتم تسجيله ويتلقى بطاقة(libellus) التي تثبت خضوعه للمرسوم، ولقد استطاع بعض المسيحيين بسبب مكانتهم أو ثرائهم أن يشتروا هذه البطاقة وبدون أن ينكروا علانية دينهم، فسميوا لذلك ب"

libellatici"[91]. وبهذا اتخذت عملية ارتداد********** المسيحيين ثلاثة أنواع اعتبروا كلهم مذنبين في نظر الكنيسة المسيحية[92]، وعن هذا الموقف نذكر ما قاله كيبريانوس عنهم : "منذ الكلمات التهديدية الأولى المنطوقة من طرف العدو، تخلى عدد كبير من إخواننا عن عقيدتهم، لم يستسلموا بسبب عنف الاضطهاد ، ولكنهم استسلموا بإرادتهم الخاصة...ولم ينتظروا توقيف القاضي لكي يرتدوا عن دينهم ،ولم ينتظروا أيضا أن يكونوا بين يدي الجلادين لكي يقدموا البخور للآلهة ... وهم بأنفسهم ركضوا إلى الساحة العامة واندفعوا نحو الموت ، كما لو أنهم كانوا يتمنونه، وكما ولو أنهم اغتنموا فرصة انتظروها منذ مدة طويلة. ولكن ماذا نقول عن الذين تم إرجاعهم من طرف الحكام إلى الغد و توسلوهم حتى لا يؤجلوا ارتدادهم ؟. ومن أجل الكثير لم يكن كفاية أن يخسروا أنفسهم، فقاموا بالتعاون على التحريض على الإرتداد...و حتى تصل هاته الجريمة إلى ذروتها ، كان الآباء يحملون أو يصطحبون أطفالهم أمام القضاة، وهذا حتى ينتزعوا منهم البراءة الصادقة التي تلقوها أثناء التعميد"[93]. ويبدو أن عدد المرتدين المرتفع لم يكن له أي مبرر مقنع لذلك إلا بسبب الضعف والخوف، حتى الإكليروس والأساقفة قد قاموا بالإرتداد وانظموا إلى جماعة رعاياهم[94].

ولقد رأى كيبريانوس من واجبه كأسقف أن ينسحب أثناء الأزمة من قرطاجة ليلتجئ إلى مكان خفي ، وكان من السهل على البروقنصل أن يتعرف إلى هذا الملجأ الذي كان يتقاطر عليه "الأخوة الذين كانوا يزورونه"، والذي كانت تنطلق منه الرسائل العديدة الموجهة إلى المؤمنين، ولكنه اقتصر على مصادرة أمواله ونفيه.

ورغم الانتقاد اللاذع الذي وجه إليه[95] إلا أن انسحابه من الخطر كان كضرورة ملحة من أجل أن يستطيع مواصلة تحمل منصبه الرعوي، فالنجاة من الاضطهاد كان بالنسبة له الواجب الأول[96] ، ولكن إذا ما تعرض للاضطهاد فإن أعماله لم تكتمل ولم يكن يوجد أي شخص لكي يصلح أضرار الاضطهاد[97] . ومن المؤكد أن خطة السير الحذرة التي اتبعها كيبريانوس لم تكن شاذة، فالعديد من هذه الحالات قد شوهدت سابقا في عهد سبتيميوس سفيروس ، ورغم استنكارها من طرف ترتوليانوس و المونتانية، إلا أنها كانت تتوافق مع تعاليم الانجيل . ومن السوء أن نضع نتيجة مناقضة للأسقف، فإن حياته في ما بعد أثبتت بقدر كاف أنه كان شخصا قادرا على مواجهة المعاناة والموت ، وبالتالي فإن الخوف لا يمكن أن يكون السبب في عزلته الإرادية هذه ، والتي نسبها الكاتب أوغست أودلونت إلى متغيرات سامية، حيث يرى أن كيبريانوس لم يشغل كرسيه الأسقفي إلا منذ حوالي سنة، فلما بدأ اضطهاد المسيحيين اعتقد حسب تفكير هذا الكاتب، أنه يكون أكثر فائدة إلى رعيته باختبائه في هذا الوقت على مهاجمة أعدائه، فقراره هذا حرم الجمهور الوثني من ضحية التي أعلنوا عنها بصوت عال ، والذين لن يرضوا إلا برؤيتها مقطعة من طرف أسود المدرج. ولكن احتفاظه بنفسه يمكن أن يؤكد لنا أنه كان من منفعة الكنيسة كلها والتي كلف بإدارتها[98]. وبالفعل فخلال فترة غيابه فإنه لم يبق مكتوف الأيدي إذ قام بتسيير أسقفيته من مخبئه[99] متصلا مع رجال كنيسته في هذه المهمة، وهذا من أجل توحيد المسيحيين و تنظيم وحماية المقاومين و مراقبة كل الخدمات الاجتماعية[100].

ومهما يكن فرغم النتائج المحزنة للمرتدين والتي كانت بمثابة ضربة قاسية للطائفة المسيحية، إلا أنه علينا أن نسجل أيضا

التصرف البطولي لبعض المؤمنين، والذين بسبب رفضهم للتضحية تعرضوا لطائلة القانون، فتم رميهم في السجون سواء كانوا من الإكليروس أو من العامة أو حتى من النساء والأطفال، ولقد كان العديد من هؤلاء المرشدين ضحايا للتعذيب القاسي بل والموت بسبب الجوع أو التعذيب، مع العلم أن التعذيب لم يكن إلا وسيلة لإنهاك مقاومة المسيحيين وحملهم على الاعتراف بخضوعهم إلى المرسوم، لأن هدف المضطهدين كان البحث عن المرتدين أكثر من الشهداء[101]. وكتب الأسقف كيبريانوس في هذا الشأن قائلا:" هذا التعذيب لا يترك إطلاقا للصابر بأن يتلقى الإكليل بسهولة، وإنما يعذبه فقط من أجل أن يقوم بالإرتداد"[102]، وبهذا فإذا ما رجعنا إلى القوائم الرسمية للكنيسة القرطاجية فيما يخص المسيحيين الذين ماتوا ضحايا هذا الاضطهاد، وعلى الراجح في شهر أفريل 250م لوجدنا عشرين إسما ،حيث توفي بعضهم تحت تأثير التعذيب ولكن أغلبية الموتى كان بسبب الجوع[103]. ولم يتوقف الاضطهاد كلية إلا في ربيع 251م.

ولكن في السنة المقبلة بقيت إفريقيا قلقة من عنف جديد، حيث قام الإمبراطور كالوس********** خليفة الإمبراطور داسيوس، بإصدار مرسوم الذي يأمر بتقديم الأضاحي في كل مكان، ولكن في الواقع يظهر أن هذا المرسوم لم يتبعه أي عنف في إفريقيا.

وأما مع مرسوم الإمبراطور فاليريانوس********** فإن الأمر لم يكن نفسه، إذ أعطى هذا الأخير في كل إفريقيا إشارة حقيقية لاضطهاد المسيحيين، ويبدو أن السبب الحقيقي لهذا التغيير هو خشية فاليريانوس من هاوية الديون العامة، والذي جعله يفكر في مصادرة ثروات الكنيسة المسيحية المغرية. ولهذا قام هذا الأخير

بإصدار مرسومه الأول في أوت 257م[104]، وبالرغم من أن النص لم يصل إلينا إلا أننا يمكننا إعادة تشكيله[105]، حيث كان يقضي الإمبراطور من خلال هذا المرسوم بضرب الديانة العدوة في قادتها وفي تنظيمها ، وبهذا قام بأمر كل من الأساقفة والقساوسة والشمامسة بالمشاركة في احتفالات الديانة الرسمية وإلا يتعرضون لعقوبة النفي[106]. كما أنه عامل المسيحية لأول مرة كتجمع محرم حيث منع كل المسيحيين من القيام بالتجمعات أو الدخول إلى القبور، ومن يخالف هذا الأمر يتعرض لعقوبتين وهي الموت أو الإدانة بالأعمال الشاقة؛ حيث كانت هذه الأخيرة تحتوي على عقوبات أكثر قسوة[107]. ومنذ أن طبق المرسوم في إفريقيا حتى قام البروقنصل باترنوس (Paternus) باستدعاء كيبريانوس أسقف قرطاجة، والذي تم نفيه إلى كوروبيس عندما رفض الخضوع إلى المرسوم. وفي نوميديا على الخصوص تم تنفيذ أوامر الإمبراطور بقسوة شديدة، حيث لم يكتف المفوض بنفي العديد من الأساقفة ،ولكن حكم بالأعمال الشاقة لعدد كبير من المؤمنين ورجال الدين من كل الرتب في مناجم المنطقة، وبدون شك لأنهم خالفوا مرسوم القرار الذي يمنعهم من التجمع. ولقد ساعدتنا العلاقات الرسائلية التي أجريت ما بين كيبريانوس في منفاه مع العديد من هؤلاء المرشدين على التعرف على مدى انتشار الاضطهاد، ومدى قساوة أعوان الإمبراطور، والموقف البطولي للكنائس الإفريقية .

ولقد اعتقد فاليريانوس أنه على وشك أن يتغلب على المسيحية وأنه قادر على إبادة الطوائف، أو على الأقل إضعافها، وهدم كل قوة مقاومة، و قتل كل من يتمتع بسلطة دينية أو بمكانة اجتماعية، ولهذا قام بإصدار مرسومه الثاني في جويلية 258م[108] ، والذي كان

أكثر قسوة، حيث يقوم بإعدام كل من الأساقفة والقساوسة والشمامسة الذين يرفضون التضحية، ويجرد كل من أعضاء مجلس الشيوخ والفرسان من مرتبتهم ويصادر أموالهم في حالة ما إذا ثبت أنهم مسيحيون[109]،بل وشمل هذا المرسوم كل المسيحيين حيث أمر بمصادرة ثروة كل مسيحي و نفيه وفي حالة ما إذا تثبت في رأيه يتعرض للقتل ، وحتى المسنات تعرضن للنفي مع مصادرة ثرواتهن. ولقد تم تطبيق هذا المرسوم في الحال في إفريقيا حيث قام البروقنصل كاليريوس ماكسيموس (Galerius Maximus) الذي كان متواجدا في أوتيكا في نهاية شهر أوت بإعدام المئات من المسيحيين والذين سموا بالجماعة البيضاء(massa candida)، وفي 14 سبتمبر تم إعدام الأسقف كيبريانوس، ولمدة سنة لم يتوقف قتل المسيحيين إطلاقا في إفريقيا، حيث تعرض العديد من المؤمنين والإكليروس منهم أساقفة إلى القتل سواء في البروقنصلية أو في نوميديا التي كان الاضطهاد فيها الأكثر عنفا،ولم تتوقف الاضطهادات إلا في سنة 260م بموجب مرسوم التسامح لكالينوس(Gallienus)**********. فإذا ما احتكمنا إلى عدد الضحايا المعروفين لاعتبرناها المصيبة الأكثر إجراما في إفريقيا المسيحية[110]، ولكن رغم هذا استطاعت الطائفة الإفريقية أن تجتاز هذه المحنة بدون أن تضعف[111].

وهكذا استطاعت الكنيسة الإفريقية بفضل مرسوم التسامح لكالينوس أن تنعم بفترة سلم دامت أربعين سنة. و لم يكن لمرسوم الإمبراطور أوريليانوس********** الذي كان في نهاية سنة 274 م أية أعمال عنف في إفريقيا[112] ، ويبدو أن السبب في هذه الهدنة يعود إلى انشغال أباطرة عهد الفوضى العسكرية بالتطاحن على كرسي

الإمبراطورية الذي كثر المتزاحمون عليه في هذه الفترة من تاريخ الإمبراطورية، غير أنه لما استجمع ديوكليسيانوس********** زمام الإمبراطورية في يده(284- 304 م) ، رأى حتى يضمن تربعه على العرش؛ ضرورة التحكم في القوى المثيرة للقلائل والتي كانت أخطرها حسب رأيه المعتقدات الأجنبية عن الديانة الرومانية والتي من بينها المسيحية، التي تطورت نظرة معتنقيها في إفريقيا إلى السلطة ونزعوا نحو التمرد خصوصا في الجيش. ولهذا أعلن هذا الإمبراطور عن معاقبة كل من يتخلى عن الديانة الإمبراطورية[113]. ويبدو أن الأحداث التي جرت في معسكرات كل من طنجة و تيفاست سنة 295م، كانت بداية مطارداته ضد المسيحيين المجندين والتي امتدت إلى غاية سنة 299م، ورغم أن هذه الإجراءات لم تكن إلا لأسباب نظامية إلا أنها أعلنت عن اضطهاد وشيك، والذي حدث بالفعل خلال سنتي 303 م و304م، وهذا بموجب الأربعة مراسيم التي أصدرها الإمبراطور ديوكليسيانوس[114]، والتي كان يهدف من خلالها القضاء على المسيحية التي خشي من انتشارها. تضمن مرسومه الأول الصادر في 24 فيفري303 م منع الاجتماعات وهدم الكنائس وإتلاف الكتب المقدسة و مصادرة أملاكها. وبعده بشهور قليلة تقريبا في نصف هذه السنة أصدر مرسومه الثاني القاضي بسجن كل قادة الكنائس. أما المرسوم الثالث فقام بإرغامهم على التضحية إلى اللآلهة وإلا يتعرضون للتعذيب. وفي الأخير في ربيع 304م أصدر مرسومه الرابع والذي أمر بقيام كل المسيحيين بالتضحية بدون تمييز وإلا يتعرضون للقتل.

ويبدو أن السلطات الرومانية كانت حريصة على إذاعة هذه المراسيم، وهذا يتضح لنا من خلال الإجراءات التي اتخذتها في سبيل ذلك عبر أرجاء كل الإمبراطورية، كما أنها كانت حريصة كذلك على تنفيذها، حيث رغم أن هذه المهمة كانت متروكة بصفة عامة للسلطات المحلية، إلا أنه شهد في بعض الأحيان وخصوصا في الفترة الأخيرة من الاضطهاد تدخل حكام المقاطعات بأنفسهم في تنفيذها، وهذا ما حدث بالفعل مع البروقنصل********** أنولينوس (Anullinus) والمفوض**********النوميدي فلوروس (Florus) خلال سنة 304م. ورغم وجود أربعة مراسيم إلا أن الأفارقة لم يعرفوا إلا مرسومين، وبالتالي مرحلتين فقط من اضطهاد ديوكليسيانوس، حيث تميزت المرحلة الأولى بالتفتيشات[115] التي قام بها حكام البلديات في كل من البروقنصلية ونوميديا، والتي قاموا فيها بحجز وحرق أثاث الكنائس والأغراض الطقسية والكتب المقدسة كما قاموا أيضا بمصادرة الكنائس وفي بعض الأحيان بتخريبها أما فيما يخص موريطانيا فإننا لا نملك أية معطيات محددة حول آثارها[116].

ولقد استسلم العديد من المسيحيين بسبب العنف الذي مورس خلال هذه التفتيشات في كل المقاطعات الإفريقية ، وسلموا كتبهم المقدسة، ليس فقط من العوام وأعضاء الإكليروس السفليين ولكن أيضا من القساوسة والأساقفة، والذين عرفوا باسم "traditores". ورغم هذا وجدت أيضا بعض النماذج المتحمسة والتي رفضت تسليم الكتب المقدسة ، وتعرضت نتيجة ذلك إلى أنواع مختلفة من التعذيب ، فامتلأت سجون قرطاجة بهم وخاصة من مسيحيي المدن الأخرى حيث كان حكامها يرسلونهم إلى محكمة البروقنصل، وهذا مثلما حدث مع القسيس

ساتورنينوس وخمسين مسيحيا ومسيحية من أبتينا، والذين ماتوا في السجن بسبب الجوع[117].أما المرحلة الثانية التي كانت خاصة بالتضحيات تحت عقوبة الموت،تميزت بقلة حماس الحكام مقارنة مع المرحلة السابقة حيث لم تشهد هذه الفترة إلا بعض الشهداء في كل من تبوربة وتبسة وميلة .

وفيما يخص المرسومين الثاني والثالث فإنهما بقيا رسالة ميتة في إفريقيا، ذلك أنهما أصدارا وطبقا إلا في الشرق، وحتى فيما يخص مطاردة قادة الكنائس، فإنه لم يكن لا بحكم منصبهم الديني ولا رفضهم للتضحية، وإنما كان بسبب رفضهم تسليم الكتب المقدسة[118]، وهذا حسب ما نص عليه المرسوم الأول.

وللتوضيح أكثر عن اضطهاد ديوكليسيانوس في إفريقيا، أعرض الآن الوصف الذي قدمه لنا أوبطا(Optat) :"في تلك الفترة، كان هناك حكام طاغين الذين أعلنوا الحرب على الاسم المسيحي، كان من بينهم أنوليوس في مقاطعة البروقنصلية الذي كان عنده أكثر من ستين سنة، وفي نوميديا فلوروس . كل العالم يعرف جيدا ما قاموا به من قساوة ببراعة. آنذاك عاقبوا بقسوة في الحرب المعلنة على المسيحيين، في معابد الشياطين التي انتصرت ، وتصاعد من المذابح روائح قذرة، و أما الذين لا يستطيعون تناول الأضحية المقدسة فإنه يتم إجبارهم على وضع البخور في كل مكان. كل معبد كان معبدا للجريمة، فالعجزة الذين كانوا تقريبا مشرفين على الموت تم فضحهم،وتم تدنيس الطفولة البريئة حيث تم حمل الأكثر صغرا من طرف أمهاتهم من أجل انتهاك الحرمات، وآباء أرغموا على ارتكاب جريمة القتل بدون دماء، وآخرون أجبروا على هدم معابد الإله الحي،

وآخرون أنكروا المسيح، وآخرون أحرقوا التعاليم الإلهية ، وآخـــرون قدموا البخور"[119]. وهكذا يتضح لنا جليا أن مرسوم ديوكليسيانوس كان مثل مرسوم داسيوس، إذ سبب العديد مـــن الضـــلال فـــي الطائفـــة المسيحية الإفريقية حيث أدى إلى العديد من الارتـــدادات. و لكننـــا نسجل أيضا في نفس الوقت وجود العديد من الشـــهداء وهـــذا عبـــر مختلف المقاطعات الإفريقية. ورغم قصر مدة الاضطهاد نسبيا وهـــذا على حد علمنا ، إذ أنه بدأ في سنة 303م وتوقف نهائيا في الشـــهور الأولى من سنة 305م، إلا أنه كان في إفريقيا الأكثر حيوية والأكثـــر دموية من المناطق الأخرى ومس جميع مقاطعاتها[120].

ومهما يكن فلقد كان اضطهاد ديوكليسيانوس آخر اضـــطهاد تعرض له مسيحيو المغرب القديم حيث عرفت بعده خاصة في ظـــل الإمبراطور قسطنطينوس********** السلام الـــديني، والذي أكد عليه بواسطة مرسوم ميلان سنة 313م الذي وضع حـــدا لاضطهاد السلطة للكنيسة الكاثوليكية، وفتح عصرا جديدا في تـــاريخ العلاقات بينهما، حيث توحدت جهودهما هذه المرة بعـــدما أصـــبحت الكنيسة الكاثوليكية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية، لينطلق بعده اضطهاد جديد من طرف السلطة ضد أعداء الكنيسة الرسمية وهـــم الوثنيين والهرطوقيين والمنشقين[121].

الهوامش:

[1] Victor Duruy , histoire générale , éd . 8 , librairie Hachette et Cie , Paris , 1910 , P . 198 .

[2] محمد البشير شنيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني و دورها في أحداث القرن الرابع ميلادي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984، ص . 272

[3] G . Boissier , la fin du paganisme études sur les derniers luttes religieuses en occident au quatrième siécle ,T. I ,libraire Hachette et Cie , Paris, 1891 , PP . 417 – 418 .

[4] Tertullien , apol . , 5, établi et traduit par J. P. Waltzing , les belles lettres ,Paris , 1929.

لم نعثر على هذا القانون بهذا الشكل في مدونة القوانين الرومانية، و لكن رغم هذا لا يمكننا أن نقول أنه لم وجد . أنظر : G . Boissier , loc . cit . Ibid .

[5] رغم أن اليهود يدينون بالوحدانية إلا أنه عفي عنهم فيما بعد لأنهم يشكلون أمة خاصة بهم عكس المسيحية، و التي لم تكن ديانة قومية بل كانت موجهة لجميع الناس ، مع العلم أنها كانت في الأصل موجهة إلى اليهود(أي القومية) ولم تصبح ديانة عالمية إلا بعدما بشر بها الرسول بولس . أنظر: سامي نجيب محمد ، مفاهيم نصرانية خاطئة عن محمد و المسيح عليهما السلام و الرد عليها و إظهارها ، دار الروضة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2006، صص. 16، 18 ؛ Ibid

* لوسيوس دوميسيوس كلوديوس نيرون (Lucius Domitius Claudius Neron) إمبراطور روماني (54 – 68 م) ، فبفضل أمه وصل إلى السلطة، بعدما تزوجت للمرة الثانية من الإمبراطور كلوديوس ، حيث بعد وفاته أعلن عنه إمبراطورا . تميز عهده بالعنف بعد الحريق الذي تعرضت له روما سنة 64 م ، و حتى يبعد التهمة عنه ، حمل المسيحيين هذه المسؤولية و أعلن ضدهم اضطهاد إجرامي ، و هذا ما زاد الوضع سوءا ، ونتيجة لهذا أعلن بأنه عدوا للعامة و قتل ، تم تنصيب غالبة (Galba) إمبراطورا مكانه . أنظر :
P . Kobert , le petit Robert des noms propres , éd . Revue , Paris ,2000,P .1474.

[6] A . Loisy , la naissance du christianisme , Emile Nourry éditeur , Paris , 1933 , PP . 231 , 235 , 238.

M . Simon , la civilisation de l'antiquité et le christianisme, Arthaud , Paris , 1972. , P . 211 .

[7] C . Lepelley , l'empire romain et le christianisme ,Flammarion , Paris , 1969 , PP . 24 – 25 .

[8] M . Simon , op . cit . , P . 219 .

[9] Tertullien , apol . , 44 .

[10] A . M . Jacquin , histoire e l'église ,T 1 , édition de la revue des jeunes, Paris,1928 , PP . 143 – 144.

[11] A . Loisy , op . cit . , P.238.

[12] ** ماركوس أوليبيوس تراجانوس (Marcus Ulpius Trajanus) إمبراطور روماني (98 –

117 م) ، ابن جندي ، أعلن عنه إمبراطورا في سنة 97م بعد موت الإمبراطور نيرفا (Nerva)، كان رجل حرب ممتاز؛ حيث قاد الإمبراطورية في سياسة فتوحات عظيمة . أنظر : P . Kobert , op . cit . , P . 2079.

[13] M . Simon , op . cit . , P . 214 .

هو كاتب لاتيني (61 – 114 م) ، ابن أخت و الابن المتبني لبلين الكبير ، قضى حياته في طلب العلم و الانشغال بأمور الدنيا، حيث شغل مقعدا في السناتو و تقلد منصب القنصل و عهد إليه تراجانوس بحكم بيثني و نبطس لمدة عشر سنوات انظر : إدوارد جيبون ،اضمحلال الإمبراطورية الرومانية و سقوطها ، (تر . محمد علي أبودرة ، راجعه و قدم له أحمد نجيب هاشم) ، ج . 1، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ص . 432 ؛ P . Kobert , op . cit . , P . 1647

[14] إدوارد جيبون ، نفسه.

[15] M . Simon , loc . cit .

[16] M . Meslin , J – R . Palanque , le christianisme antique , Armand Colin , Paris , 1967 . P . 26. M . Simon , op . cit . , P . 215 , 219 .

[17] .

[18] A . Loisy , op . cit . , P . 244 .

[19] M . Simon , op . cit . , P . 214 - 215.

[20] Dom H . Leclercq , l'Afrique chrétienne , T1 , libraire Victor Lecoffre, Paris, 1904, P . 105.

*** بوبليوس أيليوس هادريانوس (Publius Aelius Hadrianus) إمبراطور روماني (117 – 138م) ، الابن المتبني لتراجانوس ، كان مفوضا للإمبراطور في سوريا لما استدعاه الجيش لكي يخلف تراجانوس ، تخلى عن سياسة خليفته التوسعية واقتصر فقط على الحدود الإستراتيجية للإمبراطورية ، و لكنه في المقابل نظم بطريقة رائعة إدارة الإمبراطورية .

[21] P . Kobert , loc . cit . , P . 9 . M . Meslin , J – R . Palanque , loc . cit .

**** ماركوس أوريليوس أونطونينوس (Marcus Aurélius Antoninus) إمبراطور و فيلسوف روماني (121 – 180 م)، درس البلاغة و الفلسفة ، تبناه الإمبراطور أونطونينوس ، أصبح إمبراطورا خلال (161 – 180 م) ، و قام أثناءها بتجديد الإدارة المالية والتشريعية. رغم إنسانيته إلا أنه لم يحسن من وضع المسيحيين في الإمبراطورية . أنظر : P . Kobert , op . cit . , P . 1312

[22] P . Monceaux , Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne , (depuis les origines jusqu'à l'invasion Arabe), T1 , culture et civilisation , Paris, 1963, P . 42 .

[23] إدوارد جيبون ، المصدر السابق ، ص . 435 .

[24] محمد البشير شنيتي ، المصدر نفسه ، ص . 272 .

[25] إدوارد جيبون ، المصدر السابق ، ص . 436 .

[26] B . Aubé , l'église et l'état dans la seconde moitié du III ° siecle (249 - 284) , éd . 2 , librairie Academique Didier , Paris , 1886 , P . VII .

[27] M . Meslin , J – R . Palanque , op . cit . , P . 27 .

[28] A . M . Jacquin , op . cit . , P . 222 .

[29] A . Audollent , Carthage romaine(146 avant jésus- christ) ,ancienne libraire Thorin et fils, Paris, 1901, P . 448.

[30] A . M . Jacquin , op . cit . , P . 112 .

[31] P . Monceaux , op . cit . ,T. I , P . 41 .

[32] محمد البشير شنيتي ، المصدر السابق ، ص . 265 .

[33] P . Monceaux , op . cit . , PP . 37 - 38 .

[34] محمد البشير شنيتي ، االمصدر السابق ، ص . 274 .

[35] P . Monceaux , op . cit . , P. 39.

[36] G . Boissier , op . cit . , I , PP . 276.

[37] P . Monceaux , op . cit . , PP. 38 - 39.

[38] G . Boissier , loc . cit .

[39] P . Monceaux , op . cit . , PP. 39- 40 .

[40] , P . 39 .

Ibid

[41] محمد البشير شنيتي ، المصدر السابق ، ص . 271 . باعتبارهم ليسوا وثنيين و لا يهودا .

[42] Tertullien , apol . , 35 ; 40 ; ad nationes , I , 9,int . et trad. , com ., Schnieder (A.), institut Suisse de Rome , Rome , 1968 .

C . Lepelley , l'empire romain et le christianisme, Flammarion , Paris , 1969 , P . 33

[43] P . Monceaux , op . cit . , P . 41

[44] Tertullien , apol . , 40, 2 .

[45] A . M . Jacquin , op . cit . , P . 112 .

[46] Tertullien , apol . , 37 .

[47] محمد البشير شنيتي ، المصدر السابق ، ص . 270

[48] Tertullien , apol . , 7.

[49] Tertullien , a Scapula , 3 , dans les oeuvres de de Tertullien , trad . de Genoude(M) , 2éme éd. , Libraire de Louis Vivés , Paris , 1852 .

[50]

51

Tertullien , apol . , 37 , 2 . يظهر لنا هذا العمل التخريبي العنيف للمقابر المسيحية جليا من خلال شواهد القبور بمنطقة داموس الكاريتا المكسورة إلى قطع دقيقة تثبت لنا مدى كان غيظ هذه الجماهير أنظر: A . Audollent , op . cit . , P . 448 .

52 .

Tertullien , apolog . , 37.

53

P . Monceaux , op . cit . , P . 28 .

54 محمد البشير شنيتي ، المصدر السابق ، ص . 272 .

55

P . Monceaux , op . cit . , PP . 29 , 42.

56 محمد البشير شنيتي ، المصدرالسابق ، ص . 270 .

57

A . Audollent , op . cit . , P . 450 .

58

A . G . Hamman , la vie quotidiennes des premiers chrétiens (95 - 197) , 3 éme éd . , Hachette , Paris , 1983, P . 109 .

59

Ibid ;

60

A . Audollent , loc cit

A . M . Jacquin , loc . cit .

61

Dom H . Leclercq , op . cit . , PP . 31 – 32 .

62

P . Monceaux , op . cit . ,T. I , P . 28 .

63

A . M . Jacquin , loc . cit .

64

P . Monceaux , op . cit . , P . 42 ; A . G . Hamman , op . cit . P . 22.

***** لوسيوس أيليوس أوريليوس كومودوس (Lucius Aelius Commodus) (161 – 192 م) ، إمبراطور روماني خلال الفترة الممتدة من (180 – 192 م) ، ابن ماركوس أوريليوس . أنظر : A . Audollent , op . cit . , P . 446 . P . Kobert , op . cit . , P . 489 .

65 Tertullien , a Scapula , 3 .

66

67 P . Monceaux .

, op . cit . , PP . 42 – 43

68

A . M . Jacquin , loc . cit .

***** لوسيوس سبتيميوس سيفيروس (Lucius Septimius Severus)

ولد في لبتيس ماغنا في سنة 146 م ، أصبح إمبراطورا رومانيا من سنة 193م إلى 211 م بعد أن تغلب على منافسيه على التتالي : ديديوس جوليانوس (Didius Julianu)، بسكينوس نيجر (Pescennius Niger) ، و ألبينوس (Albinus) ، توفي سنة 211 م تاركا السلطة لطفليه كاركالا (Caracalla) و جيتا (Géta). أنظر :

P . Kobert , op . cit . , P. 1908

Dom H . Leclercq , op . cit . , P . 123 .

69

P . Monceaux , op . cit . , P . 44 .

70

Dom H . Leclercq ,

71

op . cit . , PP . 130 – 131.

F . Decret , M . Fantar ,l' Afrique du Nord dans antiquité(histoire et civilisation des origines au V^e siecle), édition Payot et Rinages , Paris , 1998 , P . 281 .

72

Dom H . - 124

73

Leclercq , op . cit . , PP . 123

A . M . Jacquin , op . cit . , P . 222 .

74

******* و لكن رغم هذا يخبرنا ترتوليانوس عن تعرض الكنائس للنهب والقبور للاجتياح من طرف الوثنين . أنظر :

A . Audollent , op . cit . , P . 457 .

P . Monceaux , op . cit . , PP . 244 – 245 .

75

******** تقع هذه المدينة في غرب قرطاجة ، أنظر : F. Decret , le christianisme en Afrique du Nord ancienne, édition du seuil, Paris,1996 ,P37

F . Decret , op . cit . PP. 45 – 46 .

76

J . Zeiller , l'empire romain et l'église , E . de Boccard éditeur , Paris , 1928 , P. 282 .

77

Dom H . Leclercq , op . cit . , P . 115 .

78

Tertullien , scorpiace , 7 , dans œuvres de Tertullien , T . 3 .

79

P . Monceaux , op . cit . , P . 46 .

80

C . Lepelley , l'empire romain et le christianisme , P . 46.

81

********* كوينتوس تراجانوس داسيوس (Q . Trajanus Decius) (201 – 251 م) ، و هو أول الأباطرة الايليريين الذين أقاموا السلطةالامبراطورية بعد انتهاء الفوضى العسكرية (249 – 251 م) . بدأت عهدته بمرحلة جديدة في العلاقات ما بين الإمبراطورية و الكنيسة ، حيث أقام الاضطهاد العام بواسطة مرسوم أصدره . أنظر :

M . Simon , , la civilisation de l'antiquité et le christianisme , P . 466 .

F . Decret , op . cit . , P . 78 .

82

83 لقد اختلف في تحديد سنة صدوره حيث حدده البعض في بداية سنة 250 م . أنظر :

Dom H . Leclercq , op . cit . , P . 175.

Ibid , PP . 175 – 176 .

F . Decret , op . cit . , PP . 70 – 71 .

84

P . Monceaux , op . cit . ,T. II , P. 21 .

85

Dom H . Leclercq , op . cit . , P . 177 .

86

87 A . M . Jacquin , op . cit . , P . 197 .

St Cyprien , de lapsis , 5 , dans histoire et œuvres complètes de st Cyprien , trad . M . L'Abbé

88 Thibaut , T . 2 , Cattier , Tours , 1869.

89 Dom H . Leclercq , loc . cit .

90 G . G . Lapeyre , A . Pellegrin , Carthage latine et chrétienne , Payot , Paris, 1950, P . 220 .

91 F . Decret , op . cit . , P . 70 .

********** الإرتداد (lapsis) : لغة تعني السقوط ، خائر القوى ، مخطئ ، و عمليا : تتمثل في كل من أنكر عقيدته وضحى سواء بالأضحية أو بالبخور . أنظر : B . Aubé , l'église et l'état dans la seconde moitié du III ° siecle , P . 201 .

92 Ibid , PP . 201 – 202 .

93 St Cyprien , de lapsis , 4 . .

94 Dom H . Leclercq , op . cit . , PP . 178 - 179.

95 شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر ، المغرب الأقصى ، (تر. محمد مزالي ، البشير بن سلامة) ، الدار التونسية للنشر ، 1969 ، ص . 282 .

96 F . Decret , M . Fantar , op . cit . , PP . 287 – 288 .

97 . P . Monceaux, op. cit . , P. 13.

98 شارل أندري جوليان ، المصدر السابق .

99

100 B . Aubé , loc . cit .

101 F . Decret , . op . cit . , PP . 73 – 74

102 St Cyprien , Epist . , 11 , 1 , 3 , dans Correspondance de Cyprien , ét. Et trad . le Chanoine Bayard T.2 , les belles lettres , Paris , 1925 .

103 F . Decret , op . cit . , P . 74

********** كايوس فيبيوس تربونيانوس كالوس (Caius Vibius Trebonianus Gallus) إمبراطور روماني (251 – 253 م) ، كان جنرال في ميسي (Mesie) و لكنه خان داسيوس و تسبب في مقتله في حملتهم ضد الغوث ، بعدها أعلن عنه إمبراطورا و لكنه قتل لما عارضإميليانوس (Emillianus) الذي نصب مكانه . أنظر : P . Kobert , op . cit . , P. 801 .

********** بوبليوس ليسينيوس فاليريانوس (Publius Licinius Valerianus) إمبراطور روماني (253 – 260 م) قام بتجديد الاضطهادات خلال سنتي (257 – 258 م) ، ساعده في الحكم ابنه كالينوس (Gallienus) ، توفي في الأسر مع حربه، مع الفرس . أنظر : P . Kobert , op . cit . P . 2125 .

104 P . Monceaux , op . cit . , T.II , PP . 23 – 24 .

105 Dom H . Leclercq , op . cit . , P . 216 .

106 P . Monceaux, op . cit . , T.II , P . 24.

107 Dom H . Leclercq , loc . cit .

108 P . Monceaux, op . cit . , T.II , PP . 24 – 25.

109 G . G . Lapeyre , A . Pellegrin , op . cit . , P . 221.

********** بوبليوس ليسينيوس إغناسيوس كالينوس (Publius Licinius Egnatius Gallienus) إمبراطور روماني 253 – 268 م) ، ابن فاليريانوس ، تقاسم في البداية السلطة مع أبيه ، ثم استولى على الحكم بعد وفاة هذا الأخير سنة 260 م . قام بوضع حد للاضطهاد ضد المسيحيين ، و أصلح الجيش، وحكم فقط إيطاليا . أما باقي المقاطعات الأخرى، فحكمها ثلاثون من جنرالاته ، حيث أعلن عنهم كأباطرة للمقاطعات . قتل هذا الإمبراطور من طرف جنوده في ميلان سنة 268 م. أنظر :

P . Kobert , op . cit . , P.801.

110 P . Monceaux, op . cit . , II , PP . 25 – 26.

111 G . G . Lapeyre , A . Pellegrin , op . cit . , P . 222 .

********** أويليانوس لوسيوس دوميسيوس أوريليانوس (Lucius Domitius Aurelianus) إمبراطور روماني (270 – 275 م) ،اعتلى العرش من طرف الجيش بعد وفاة الإمبراطور كلوديوس (Claudius) . أنظر :

P . Kobert , op . cit . P . 147 .

112 P . Monceaux, op . cit . ,T. III , PP . 3 – 4 .

********** كايوس أوريليوس فاليريانوس ديوكليسيانوس (Caius Aurélius Valerianus Diocletianus) المولود سنة 245 م ، من أسرة متواضعة ، و كان إمبراطورا رومانيا خلال (284 – 305 م) ، و تشارك معه في الحكم ماكسيميانوس (Maximienus) سنة 285 م . وفي سنة 293 م أصبح الحكم ولاية رباعية ؛حيث انضم كل من كوستونسيوس شلوروس(Flavius Valerius Constantius Chlorus) إلى ماكسيميانوس و كاليريوس(Galerius) إلى ديوكليسيانوس . و نتيجة لهذا فقد مجلس الشيوخ كل سلطته ، و لم تعد روما عاصمة الإمبراطورية، و أصبح ديوكليسيانوس سيدا على الشرق ؛ يقيم في نيكوميديا ، و ماكسيميانوس سيدا على الغرب ؛ مؤقتا . و رغم هذا التقسيم بقي ديوكليسيانوس الحاكم الأعلى . و لقد سمح هذا التقسيم بين هذين الرجلين بتحقيق نجاحات على كل المستويات ، فداخليا أصلح ديوكليسيانوس الإدارية ، الضرائب و الاقتصادية . و قام أيضا بإصدار مراسيم اضطهادية ضد المسيحيين سنة 303 م ، ربما بإلحاح من كاليريوس . و في سنة 305 م تنحى كل من ديوكليسيانوس و ماكسيميانوس عن السلطة لصالح كل من كاليريوس و كونستونسيوس . أنظر :

P . Kobert , op . cit . , PP. 597- 598 .

113 محمد البشير شنيتي ، المصدر السابق ، ص . 276 .

********** في 12 مارس 295 م أحضر أحد قدماء الجيش في تبسة بابنه مكسيمليانوس لكي يجنده و لكن رفض هذا الأخير و لهذا أعدم. سنتين أو ثلاث سنوات بعدها قام قائد السرية مرسلوس في طنجة برمي سلاحه و لهذا قتل أيضا . أنظر :
P . Monceaux , op . cit . ,T. II , PP . 27 – 28 .
F. Decret , op . cit . , PP . 127 – 128 . [114]

********** قنصل سابق مكلف بادارة مقاطعة مشيخية ذات أهمية كبيرة . أنظر :
André Laronde , l'Afrique antique histoire et monuments , Tallendier , Paris , 2001 , P . 85 .

********** موظف مبعوث ، و المصطلح يمكن ان يدل أيضا على مساعد للبروقنصل ، و يوضع مبعوث الإمبراطور على رأس فيلق أو مقاطعة إمبراطورية. أنظر : Ibid . [115]
P . Monceaux , op . cit . , T.III , PP . 28 - 30 . [116]

F. Decret , op . cit . , P . 129. [117]

A . Audollent , op . cit . , PP . 507 – 508 . [118]

P . Monceaux , op . cit . ,T . III , PP . , 30 - 31 .

Optat , traité contre les donatistes , III , 8 , trad . Labrousse (M) , Cerf , Paris , 1995 . [119]

P . Monceaux , op . cit . ,T . III , PP . 33 - 34 ; 38 . [120]

********** ابن كوستونسيوس شلوروس و هيلان ، إمبراطور روماني (306 – 337 م) ، بعد انتصاره على ماكسونس في جسر ميلة سنة 312 م ، تحصل على لقب أوغسطس . و بواسطة مرسوم ميلان سنة 313 م ضمن للمسيحيين الحرية في العبادة . و في سنة 324 م قام بقتل ليسينيوس ، وبهذا وضع حدا للولاية الرباعية التي أقامها ديوكليسيانوس ، و بقي بهذا السيد الوحيد . أنظر : M . Simon , op. cit . , P . 462 . [121]
P . Monceaux , op . cit . PP . 40 , 42.